

# تفسير سورة القصص

للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الحلقة الأولى

### تفسير سورة القصص

وهي مكية

{طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى  
وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا  
شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ  
مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)}

{تِلْكَ} الآيات المستحقة للتعظيم والتفخيم.

{آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} لكل أمر يحتاج إليه العباد، من: معرفة ربهم،  
ومعرفة حقوقه، ومعرفة أوليائه وأعدائه، ومعرفة وقائعه وأيامه، ومعرفة

ثواب الأعمال، وجزاء العَمَّال، فهذا القرآن قد بينها غاية التبيين،  
وجلاها للعباد ووضحها. (١)

ومن جملة ما أبان: قصة موسى وفرعون، فإنه أبدأها وأعادها في عدة  
مواضع، وبسطها في هذا الموضع، فقال:

{نَتَلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ}، فإن نبأهما غريب،  
وخرهما عجيب.

{لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} فإليهم يساق الخطاب ويوجه الكلام، حيث إن معهم  
من الإيمان ما يُقبلون به على تدبُّر ذلك، وتلقّيه بالقبول، والاهتداء  
بمواقع العبر، ويزدادون به إيماناً و يقيناً، وخيراً إلى خيرهم. وأما من  
عداهم، فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم، وصانه الله عنهم،  
وجعل بينهم وبينه حجاباً أن يفقهوه. (٢)

---

(١) قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ

لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ٨٩].

(٢) قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي

آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا} [الأنعام: ٢٥]، وقال: {قُلْ هُوَ

فأول هذه القصة:

{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ} في ملكه وسلطانه وجنوده وجبروته، فصار من أهل العلو فيها، لا من الأعلين فيها.

{وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا} أي: طوائف متفرقة، يتصرف فيهم بشهوته، وينفذ فيهم ما أراد من قهره وسطوته.

{يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ}، وتلك الطائفة هم بنو إسرائيل الذين فضّلهم الله على العالمين، الذين ينبغي له أن يكرمهم ويجلهم، ولكنه استضعفهم، بحيث إنه رأى أنهم لا منعة لهم تمنعهم مما أرادهم فيهم، فصار لا يبالي بهم، ولا يهتم بشأنهم، وبلغت به الحال إلى أنه:

{يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ} خوفاً من أن يكثروا، فيغمروه في بلاده، ويصير لهم الملك.

---

لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى {

[فصلت: ٤٤].

{ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } الذين لا قصد لهم في إصلاح الدين، ولا إصلاح الدنيا، وهذا من إفساده في الأرض.

{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ نُزُيًّا فَرَعُونَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)}

{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ} بَأَنْ نُزِيلَ عَنْهُمْ مَوَادَّ الْإِسْتِضْعَافِ، وَنَهْلِكَ مِنْ قَاوِمِهِمْ، وَنَحْذُلُ مِنْ نَاوَأِهِمْ.

{وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} فِي الدِّينِ، وَذَلِكَ لَا يَحْصُلُ مَعَ اسْتِضْعَافٍ، بَلْ لَا بَدَّ مِنْ تَمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، وَقُدْرَةِ تَامَةٍ.

{وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} لِلْأَرْضِ، الَّذِينَ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ. {وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ}، فَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا، قَدْ تَعَلَّقَتْ بِهَا إِرَادَةُ اللَّهِ، وَجَرَتْ بِهَا مَشِيئَتُهُ.

{وَ} كَذَلِكَ نُرِيدُ أَنْ {نُزِيَ} فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ {وَجُنُودَهُمَا} الَّتِي بِهَا صَالُوا<sup>(٣)</sup> وَجَالُوا، وَعَلُوا وَبَغُوا.

---

(٣) صَالَ عَلَيْهِ صَوْلَةٌ اسْتَطَالَ، يُقَالُ: رَبُّ قَوْلٍ أَشَدَّ مِنْ صَوْلٍ.

{ مِنْهُمْ }، أي: من هذه الطائفة المستضعفة.

{ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ } من إخراجهم من ديارهم، ولذلك كانوا يسعون في قمعهم، وكسر شوكتهم، وتقتيل أبنائهم الذين هم محل ذلك. فكل هذا قد أراده الله، وإذا أراد أمرًا سهلًا أسبابه، ونهَجَ طريقه. وهذا الأمر كذلك، فإنه قدر وأجرى من الأسباب التي لم يشعر بها لا أولياؤه ولا أعداؤه ما هو سبب موصل إلى هذا المقصود.

فأول ذلك: لما أوجد الله رسوله موسى الذي جعل استنقاذ هذا الشعب الإسرائيلي على يديه وبسببه، وكان في وقت تلك المخافة العظيمة، التي يذبحون بها الأبناء، أوحى إلى أمه أن تُرَضِعَهُ، وَيَمْكُثَ عندها:

{وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا  
تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)}

{فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ} بأن أحسست أحدًا تخافين عليه منه أن يوصله  
إليهم:

{فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ}، أي نيل مصر، في وسط تابوت مغلق.

{وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}،  
فبشرها بأنه سيرده عليها، وأنه سيكبر ويسلم من كيدهم، ويجعله الله  
رسولاً.

وهذا من أعظم البشائر الجليلة، وتقديم هذه البشارة لأم موسى  
لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهَا، وَيَسْكُنَ رَوْعُهَا، فَإِنهَا خَافَتْ عَلَيْهِ، وَفَعَلَتْ مَا أُمِرَتْ  
به: أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ، فَسَاقَهُ اللَّهُ تَعَالَى.



## الحلقة الثانية

{فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ  
وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ  
لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩)}

{فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ}، فصار من لقطهم، وهم الذين باشروا وجدانه.

{لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}، أي: لتكون العاقبة والمآل من هذا  
الالتقاط: أن يكون عدوًّا لهم وحزنًا يُحزنهم، بسبب أن الحذر لا  
ينفع من القدر، وأن الذي خافوا منه من بني إسرائيل، قبيض الله أن  
يكون زعيمهم، يتربى تحت أيديهم، وعلى نظرهم، وبكفالتهم.

وعند التدبر والتأمل: تجد في طي ذلك من المصالح لبني إسرائيل،  
ودفع كثير من الأمور الفادحة بهم، ومنع كثير من التعديات قبل  
رسالته، بحيث إنه صار من كبار المملكة.

وبالطبع، إنه لا بد أن يحصل منه مدافعة عن حقوق شعبه، هذا وهو هو: ذو الهمة العالية والغيرة المتوقّدة، ولهذا وصلت الحال بذلك الشعب المستضعف الذي بلغ بهم الذل والإهانة إلى ما قص الله علينا بعضه: أن صار بعض أفراده ينازع ذلك الشعب القاهر العالي في الأرض، كما سيأتي بيانه.

وهذا مقدمة للظهور، فإن الله تعالى من سنته الجارية: أن جعل الأمور تمشي على التدرّج شيئاً فشيئاً، ولا تأتي دفعة واحدة.

وقوله: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}، أي: فأردنا أن نعاقبهم على خطئهم ونكيدهم، جزاءً على مكرهم وكيدهم.

فلما التقطه آل فرعون، حنَّ الله عليه امرأة فرعون الفاضلة الجليلة المؤمنة "آسية بنت مزاحم".

{وَقَالَتْ} هذا الولد {قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ}، أي: أبقه لنا، لتقرَّ به أعيننا، ونستر به في حياتنا.

{عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا}، أي: لا يخلو، إما أن يكون بمنزلة الخدم الذين يسعون في نفعنا وخدمتنا، أو نرقيه منزلة أعلى من ذلك، نجعله ولدًا لنا، ونكرمه، ونجعله.

فقدّر الله تعالى أنه نفع امرأة فرعون التي قالت تلك المقالة، فإنه لما صار قرة عين لها، وأحبته حبًّا شديدًا، فلم يزل لها بمنزلة الولد الشفيق حتى كبر ونبأه الله وأرسله، فبادرت إلى الإسلام والإيمان به، رضي الله عنها وأرضاها.

قال الله تعالى هذه المراجعات والمقاولات في شأن موسى:

{وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} ما جرى به القلم، ومضى به القدر، من وصوله إلى ما وصل إليه، وهذا من لطفه تعالى، فإنهم لو شعروا، لكان لهم وله شأن آخر.

{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)}

ولما فقدت موسى أمه، حزنت حزناً شديداً، وأصبح فؤادها فارغاً من القلق الذي أزعجها، على مقتضى الحالة البشرية، مع أن الله تعالى نهاها عن الحزن والخوف، ووعداها برده.

{إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ}، أي: بما في قلبها.

{لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا} فثبتناها، فصبرت، ولم تبد به.

{لِتَكُونَ} بذلك الصبر والثبات.

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَصَابَتْهُ مَصِيبَةٌ فَصَبَرَ وَثَبَتَ، أَزْدَادَ بِذَلِكَ إِيمَانَهُ، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ اسْتِمْرَارَ الْجَزْعِ مَعَ الْعَبْدِ دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِهِ.

{وَقَالَتْ} أُمُّ مُوسَى {لِأُخْتِهِ قُصِيهِ}، أَي: أَذْهَبِي فَقِصِي الْأَثَرَ عَنْ أُخِيكَ وَابْحَثِي عَنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْسُ بِكَ أَحَدٌ أَوْ يَشْعُرُوا بِمَقْصُودِكَ، فَذَهَبَتْ تَقْصَهُ.

{فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}، أَي: أَبْصَرْتَهُ عَلَى وَجْهِهِ، كَأَنَّهَا مَرَّةً لَا قِصْدَ لَهَا فِيهِ.

وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الْحَزْمِ وَالْحَذَرِ، فَإِنَّهَا لَوْ أَبْصَرْتَهُ وَجَاءَتْ إِلَيْهِمْ قَاصِدَةً، لَظَنُوا بِهَا أَنَّهَا هِيَ الَّتِي أَلْقَتْهُ، فَرَبَّمَا عَزَمُوا عَلَى ذَبْحِهِ عَقُوبَةً لِأَهْلِهِ.

وَمِنْ لَطْفِ اللَّهِ بِمُوسَى وَأُمِّهِ: أَنْ مَنَعَهُ مِنْ قَبُولِ ثَدْيِ امْرَأَةٍ، فَأَخْرَجُوهُ إِلَى السُّوقِ رَحْمَةً بِهِ، وَلَعَلَّ أَحَدًا يَطْلُبُهُ، فَجَاءَتْ أُخْتُهُ، وَهُوَ بِتِلْكَ الْحَالِ:

{فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ}،

وهذا جُلُّ غرضهم، فإنهم أحبوه حبًّا شديدًا، وقد منعه الله من  
المراضع، فخافوا أن يموت، فلما قالت لهم أخته تلك المقالة،  
المشتملة على الترغيب، في أهل هذا البيت، بتمام حفظه وكفالتة  
والنصح له، بادروا إلى إجابتها، فأعلمتهم ودلتهم على أهل هذا  
البيت.

{فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ} كما وعدناها بذلك.

{كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ} بحيث إنه تربي عندها على وجه تكون  
فيه آمنة مطمئنة، تفرح به، وتأخذ الأجرة الكثيرة على ذلك.

{وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}، فأريناها بعض ما وعدناها به عيانًا، ليطمئن  
بذلك قلبها، ويزداد إيمانها، ولتعلم أنه سيحصل وعد الله في حفظه  
ورسالته.

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}، فإذا رأوا السبب متشوشًا، شوش ذلك  
إيمانهم، لعدم علمهم الكامل أن الله تعالى يجعل المحن الشاقة  
والعقبات الشاقة بين يدي الأمور العالية والمطالب الفاضلة، فاستمر  
موسى عليه الصلاة والسلام عند آل فرعون، يتربى في سلطانهم،

ويركب مراكبهم، ويلبس ملابسهم، وأمه بذلك مطمئنة، قد استقر أنها  
أمه من الرضاع، ولم يستنكر ملازمته إياها وحنوها عليها.

وتأمل هذا اللطف، وصيانة نبيه موسى من الكذب في منطقه، وتيسير  
الأمر، الذي صار به التعلق بينه وبينها، الذي بان للناس أنه هو  
الرضاع، الذي بسببه يسميها أمًّا، فكان الكلام الكثير منه ومن غيره  
في ذلك كله، صدقًا وحقًّا.